مشقة كالقيام في فرض الصلاة ولم يسامح في الاقدام على منهي خصوصًا في الكباير الا اذا احتفت الضرورة وقد تراعي المصلحة لغلبتها على المفسدة ومنه الكذب للاصلاح اذ مصلحته حينيذ على مفسدته وهذا في الحقيقة يرجع الى ارتكاب اخف المفسدتين **قوله** فانما اهلك الذين من قبلكم الخ وجه تفرعه على ما قبله ان الامر والنهي الصادرين منه صلى الله عليه وسلم لما كانا مظنة لكثرة السوال عنهما هل يقتضيان التكرار مثلا وكان في كثرته كثرة الجواب فتضاهي في ذلك قضية بني اسرايل التي امروا فيها بذبح بقرة فلم يبادروا الى مقتضى اللفظ من ذبح اي بقرة كانت بل تعنتوا وشددوا على انفسهم بكثرة السوال فشدد الله عليهم بزيادة الاوصاف حتى لم يجدوا متصفا بها الا بقرة واحدة فشروها بملا جلدها ذهبا فخشي صلى الله عليه وسلم مثل ذلك فلذا قال انما اهلك الذين من قبلكم اي اوجب لهم العقوبة في الدنيا والآخرة **قوله** كثرة سوالهم واختلافهم هو بالرفع لانه ابلغ في ذم الاختلاف اذ لا يتقيد حينيذ بكثرة بخلافه لو جر وقيل قوله فانما الخ علة لمحذوف تقدير الكلام لا تكثروا السوال تعنتا وتختلفوا على فتهلكوا فانما اهلك الخ واستفيد من الحديث تحريم الاختلاف وكثرة المسايل من غير ضرورة لانه توعد عليه بالهلاك والوعيد على الشي دليل على تحريمه بل لكونه كبيرة على الخلاف ووجهه في الاختلاف انه سبب تفرق القلوب ووهن الدين كما جرى للخوارج حتى تبرا بعضهم من بعض ووهن امرهم وذلك حرام فنسبة الموصي اليه حرام وفي كثرة السوال انه من غير ضرورة مشعر بالتعنت ومفض اليه وهو حرام وقد نهى الشارع عن قيل وقال وكثرة السوال اما من سال لحاجة فهو مثاب قال تعالى فاسلوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون سيما اذا كان المسول من بحار الحقايق وينابيع العلوم الدقايق

وان كنت لا بد مستشربا ، فمن اعظم البحر تستشرب ،

ومن هذا القبيل ما تعلمه فقها الحديث العاملين به من البحث عن معاني الكتاب والسنة وكلام الصحابة والتابعين ومسايل الحلال والحرام والزهد والدقايق مما فيه شفا القلوب فالكلام في ذلك والسوال عما هنا لك لعموم الحاجة اليه وجزيل المنفعة فيه محمود جعلنا الله منهم بمنه فالحديث اشارة الى اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم فيما جا به من الاحكام من غير معارض ولا مدافعة اذ لم يغادر شيا يقرب الى الله سبحانه الا امر به ولا شيا يبعد عنه الا نهى عنه وهي امور لا يرشد اليها العقل بمجرده اذ العقل لاقامة رسم العبودية لا لادراك الربوبية بل تلك اسرار يكاشف بها من حضرة القدس الاصفى للنبي المصطفى صلى الله عليه وسلم لانه اتصف بصفات الحق وتخلق باخلاقه كما قيل ، فذو العرش محمود وهذا محمد ، ورويناه في صحيحيهما وتقدم في كلام الحافظ في الفصول اول الكتاب ان الحديث اخرجه ابن حبان ايضا بنحوه **قوله** جا رجل لم ار تسمية هذا المبهم عند احد من المتكلمين على الحديث قاله ابن عبد العزيز الحجازي وفي شرح الاربعين الرجل

السايل

السايل لم يسم لكنه سال الدلالة على عمل يكون له هاتان الخصلتان العظيمتان اللتان هما محبة الخالق الرازق ومحبة الناس فارشده الى ذلك العمل معلم الخير صلى الله عليه وسلم بقوله ازهد في الدنيا الخ فقوله دلني امر من الدلالة وهو الارشاد اي ارشدني وتقدم اول الكتاب معنى محبة الله وانها ترجع اما لمعنى الارادة او لمعنى الكلام او الى صفة الفعل اي الاحسان والتفضل والجملة الشرطية صفة عمل ومحبة الناس ارادة النفع والزهد في الشي لغة الاعراض عنه استقلالا له واحتقارا لشانه وارتفاعا لهم عنه وشرعا ترك ما عدا الضروريات اي التي لا بد منها في قوام البدن من المباحات خوفا من النار او طمعا في الجنة او ترفعا عن الالتفات الى ما سوى الحق وهذا زهد الخواص العارفين بالله تعالى وهو المراد في الحديث على ما يظهر قال الشافعي

ايا نفس يكفيك طول الحياة ، اذا ما قنعت ورب الفلق ،
رغيف مفرد مع يابس ، وما روي ولباس خلق ،
وحفش نكنك جدرانه ، فما ذا العنا وما ذا القلق ،

ولا يكون ذلك الا بعد انشراح الصدر بنور اليقين ويطلق الزهد على ترك الحرام وهذا زهد العوام وهو واجب دون ما قبله ويطلق على ترك الشبهات وتقدم الخلاف في وجوبه ويطلق الزهد على معنى ادق من هذا وهو الاعراض عما سوى الله تعالى من دنيا واخرة وجنة ونار وحال ومقام ومقصد صاحبه هذا الوصول الى الرب عز وجل والتقرب منه فليس مراده الا وجه الله تعالى وهذا زهد المقربين وحكى الحارث المحاسبي فيما يزهد فيه من الدنيا خلافا فقيل الدينار والدرهم وقيل المطعم والمشرب والملبس والمسكن وقيل الحياة والوجه انه كل لذة وشهوة ملايمة للنفس مما ذكر وغيره حتى الكلام بين مستمعين له ما لم يقصد به وجه الله وحاصل ما ارشد اليه صلى الله عليه وسلم الحث على التقليل من الدنيا وما فيها والترغيب في تركها ووعده على ذلك بحب الله فكانه قال اعرض عما سوى ما لا بد لك منه من المباحات احتقارا له وباعد نفسك بغضا للدنيا لانها راس كل خطيية ولانها لهو ولعب وزينة وتفاخر وتكاثر في الاموال والاولاد والله لا يحب ذلك ولان الله تعالى يحب من اطاعه ومحبته مع محبة الدنيا مما لا يجتمع كما دلت عليه النصوص والتجربة والتواتر ومن ثم ورد مرفوعا حب الدنيا راس كل خطيية ولان القلب بيت الرب لا شريك له فلا يحب ان يشركه في بيته حب الدنيا ولا غيرها ومحبتها الممنوعة هي ايثارها لنيل الشهوات واللذات لان ذلك يشغل عن الله واما محبتها لفعل الخير والتقرب بها الى الله تعالى فمحمود كما تدل عليه الاحاديث كحديث نعم المال الصالح مع الرجل الصالح يصل به رحما ويصنع به معروفا ولذا عد عثمان وابن عوف من خزان الله في ارضه ينفقان المال في معاملته ومعاملتهما لله معلومة فاقتنا المال لذلك وامساكه للتقرب به الى الله تعالى مطلوب ومنهم من لا يمسكه

Copyright King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)